ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلة التاريخية الجزائرية

المجلد:05، العدد: 02 (2021)، ص143-154

العمارة الملكية النوميدية دراسة مقارنة بين ضريح مدغاسن وضريح بني رنان

Royal Numidian architecture A comparative study between the mausoleum of Medracen and the mausoleum of Bani Ranan

محمد الشريف حسين
جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 02 (الجزائر)
hocineaures@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/08/03
تاريخ القبول:
2021/09/28

الكلمات المفتاحية:
- ✓ العمارة
- ✓ الضريح
- ✓ مدغاسن

الملخص:

لقد عرفت العمارة الملكية النوميدية، تنوعا في عمارتها الجنائزية. منها الأضرحة التي نشأة من العمارة المحلية وتطورت في هيكلها كضريح مدغاسن، الذي تطور في هيكله عن البازينا ذات الشكل الأسطواني، في المقابل نجد الأضرحة البرجية ذات التأثير الهلنستي، كضريح بني رنان. لقد تميز كلا الضريحين الجنائزيين بخصائص معمارية منفردة لكنها تشترك في بعض العناصر ذات التأثير الخارجي. فما هي الخصائص المعمارية التي ميزت الضريحين الملكيين النوميديين والتأثيرات الخارجية التي مستهما؟ هذا ما سنتطرق إليه بهدف إبراز الميزات المعمارية للضرحين والتأثيرات الخارجية لكل منهما.

Article info

Received:
03/08/2021
Accepted:
28/09/2021

Key words:
- ✓ architecture
- ✓ mausoleum
- ✓ Madracen

Abstract:

The royal Numidian architecture knew a diversity in architecture. among which, the Madracen mausoleum, , evolves in of the Basina. which has the cylindrical shape. also there are the mausoleums, with tower Of Hellenistic influence. as r the mausoleum of Beni Ranan. these royal masterpieces are the subject of our research..they reveals various architectural aspects, and points in common. What are the architectural features that distinguished the two Mausoleums and the influences that affected them?

مقدمة

عرفت العمارة الجنائزية ببلاد المغرب القديم تطورا كبير في أنماطها وهندستها فهي تعتبر صورة حية عن مدى اعتناء سكان بلاد المغرب القديم بموتاهم عبر مختلف الأنماط التي لوحظت في المقابر الميغاليتية وشبه الميغاليتية، وصولا إلى الأضرحة، كما أن المواقع المختارة لهذه الصروح المعمارية العظيمة، لم يكن بمحض الصدفة، فهي تقع في أماكن مركزية لإقليمها الترابي وضمن وسطها الطبيعي. وهي تعد بمثابة أختام وتجسد الإرادة الفعلية للممالك النوميدية. والتي يمكن مشاهدتها من بعيد. لقد تنوعت هذه الصروح المعمارية ضمن نمطين أساسيين: **النوع الأول**، الأضرحة الدائرية ذات الشكل الأسطواني أصولها محلية هي عبارة عن بازينة متطورة والتي تعود إلى فترة فجر التاريخ كضريح مدغاسن (باتنة). **النوع الثاني**، يتمثل في الأضرحة البرجية وهي ذات تأثير هلنستيي متوسطي. "**كالضريح الملكي**" لبني رنان الذي يقع في الجهة الغربية من مملكة نوميديا شمال مدينة سيقا عاصمة الملك سيفاكس. وهما موضوع بحثنا هذا. **فما هي الخصائص المعمارية التي ميزت كلا الضريحين الملكيين "النوميديين" والعناصر المشتركة بينهما؟** هذا ما سنتطرق إليه بهدف ابراز الميزات المعمارية للضريحين هذا من جهة ومن جهة أخرى التأثيرات المعمارية والفنية الهلنستية التي مستهما.

1. ضريح مدغاسن

شيد الضريح شمال الكتلة الجبلية الأوراسية على هضبة قليلة الارتفاع، يحده من الجهة الشمالية الغربية جبل عازم ومن الجهة الجنوبية الغربية جبل تافروت على ارتفاع 909م من مستوى سطح البحر[1]. في قلب إقليم قبيلة الماسيل. غير بعيد عن بحيرة جندلي (LACUS REGIUS) التي تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من الضريح[2].

1.1. تاريخ الأبحاث

إن ضريح مدغاسن، لم ينل نصيبه من كتابات المؤرخين القدامى ماعدا ما ورد ذكره، في كتاب تاريخ أغسطس عن الامبراطور الروماني probus. الذي هزم قائدا إفريقيًا اسمه Aradion، في معركة فردية. وقد شيد لهذا الأخير نصبا تذكاريا في شكل ضريح، بلغ قطره 200م أي ما يعادل 59.20م[3]. هذا القياس يتطابق على ضريح مدغاسن. لكن منطقيا هذا لا يتماشى ومعتقد الجيش الروماني بأن يتم تشيد مثل هذا الضريح لعدو إفريقي[4]. خلال القرن الحادي عشر، ورد ذكر مدغاسن من طرف البكري على أنه اسم جمع لكلمة مادغوس[5]. ويصفه بأنه يشبه هضبة كبيرة وهو مبني من مادة الآجر المشوي، شيد في شكل كوات نوعا ما كبيرة وتم ربطها فيما بينها عن طريق الرصاص، كما نرى على المعلم صور آدمية وحيوانية[6].

مع نهاية القرن التاسع عشر سنة 1850، بدأت الأبحاث حول ضريح مدغاسن من قبل الجنرال كاربوتشيا. يعود له الفضل في اكتشاف مدخل الضريح، عند مستوى الدرج الثالث من القسم العلوي ذات الشكل المخروطي المدرج، كما قام بيكر بتصحيح أبعاد الضريح وتعرف على الأبواب الوهمية[7]. لقد سمحت حفريات برونو التي أجريت على الضريح، بالكشف عن تفاصيل معمارية مهمة حول عمارة الضريح. وقد توقفت الحفريات إلى

غاية سنة 1969، حيث قدم كل من الباحث كامبس وفيفري دراسة مفصلة عن الضريح حيث تمكنا من دخوله والكشف عن الغرفة الجنائزية[8].

2.1. الشكل والأبعاد

يرتكز ضريح مدغاسن على قاعدة تتكون من مدمكتين قطرها 58.86م، ارتفاع القسم الأسطواني 4.43م. أما الارتفاع الكلي للمعلم 18,35م. يتكون القسم العلوي ذات الشكل الهرمي من 23 درجة، ارتفاعها 0.58 م وعرضها 0.97م. قمة الضريح، عبارة عن أرضية قطرها 11.40م. (أنظر الصورة رقم:1، المخطط رقم1و2).

لقد لاحظ الباحث كامبس، وجود ثلاث أبواب وهمية، وهي مستوحاة من الفينيقين بحكم احتكاك النوميديين بثقافتهم. 2. أما عن الدلالات الرمزية لها فهي ذات بعد ديني وجنائزي لها علاقة بالعالم الآخر وليس لأجل الزخرفة فقط[9]. والجدير بالذكر، انه يتطابق في شكله الأسطواني مع الضريح الملكي الموريطاني[10]. من الممكن أنها كانت مخصصة لبعض الزخارف المعمارية أو تماثيل. زخرف الضريح بـ 60 عمودا دوريا وهو تأثير معماري إغريقي، استعمل خاصة في صقلية وقرطاجة إلى غاية القرن الأول قبل الميلاد. تحيط بالمعلم يعلوها طنف ذات العنق المصري المعروف في العمارة البونية، خلال القرن السادس قبل الميلاد[11].

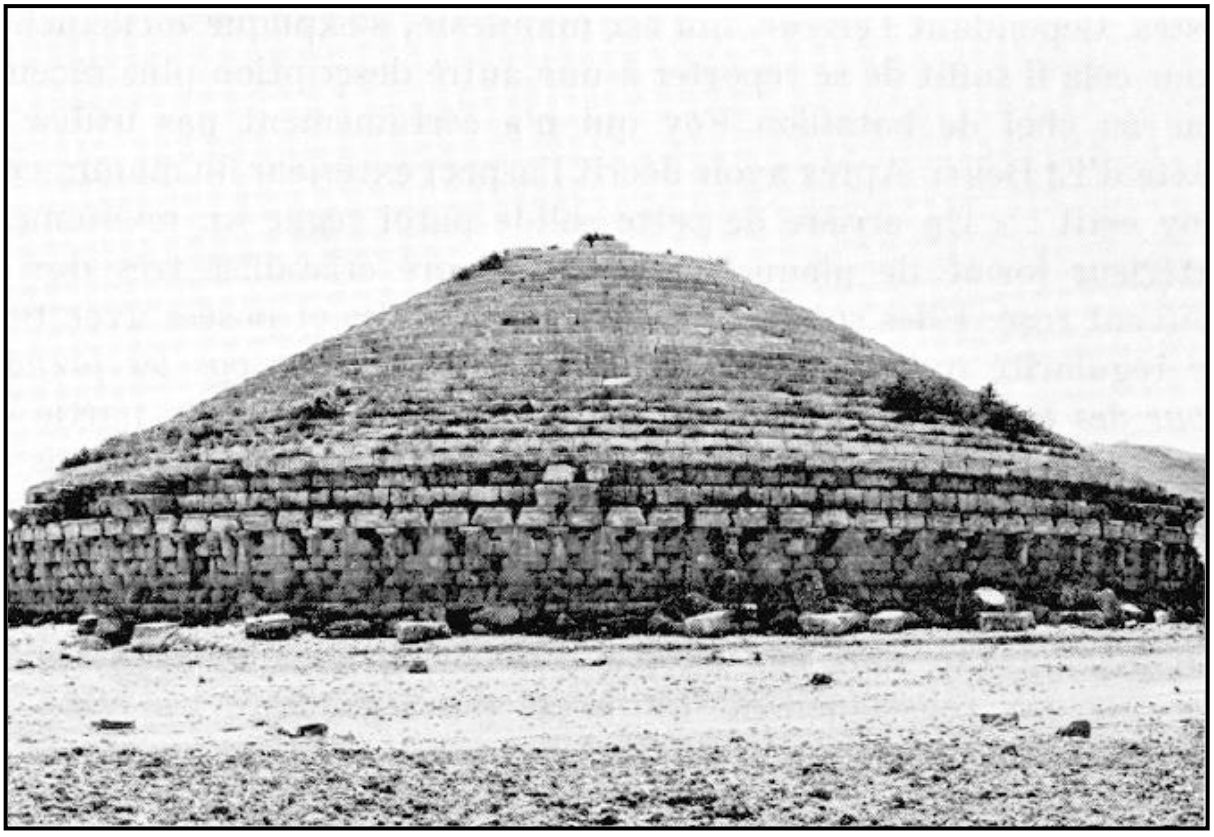

الصورة رقم1: ضريح مدغاسن

Gamps(G), 1973, p.447.

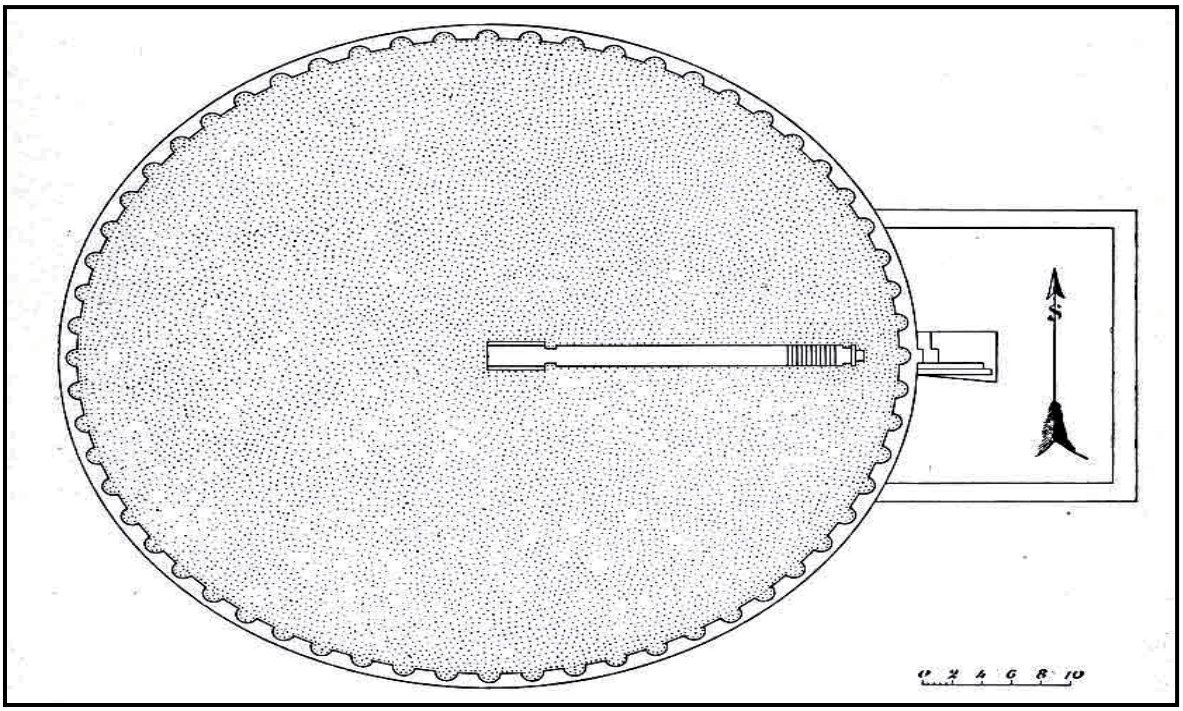

مخطط رقم1: ضريح مدغاسن

عن: Gsell (S.), 1901, p. 6

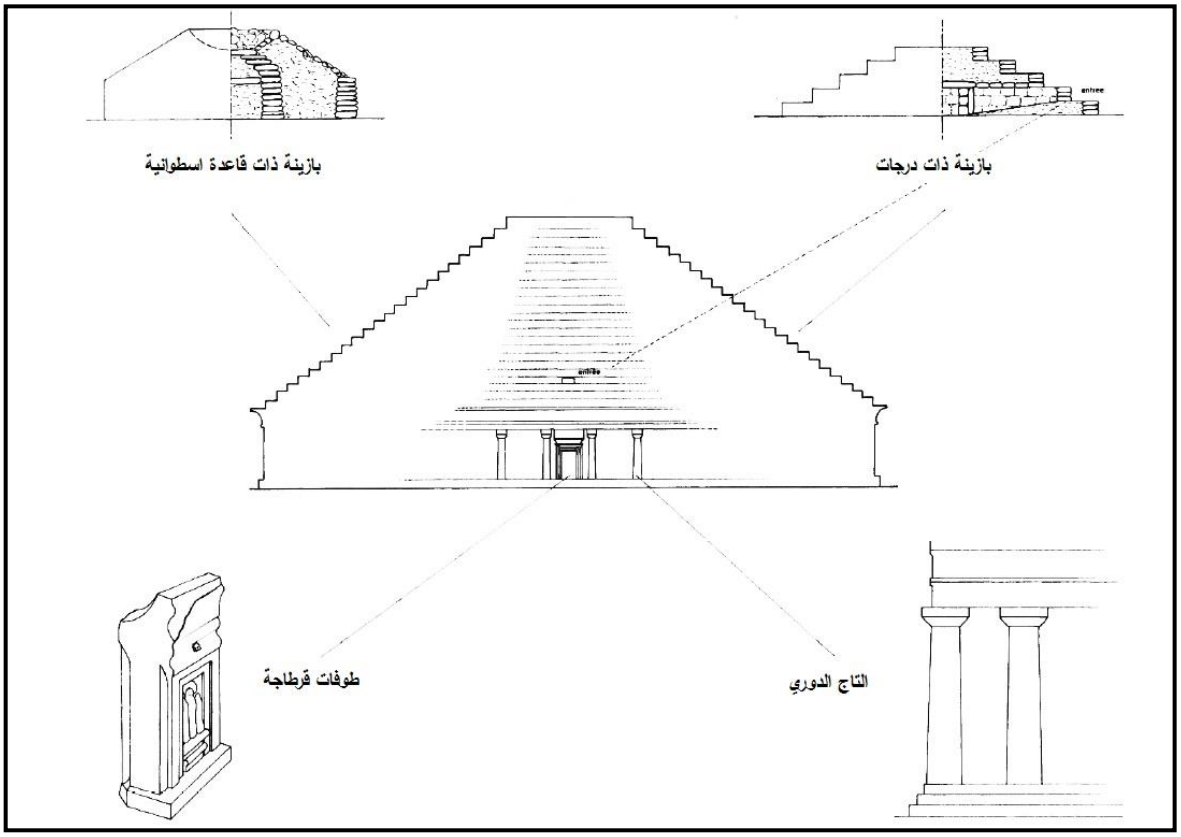

مخطط رقم 2: النشأة المعمارية لضريح امدغاسن

Gamps(G), 1973, p.511.

في الجهة الشرقية من الضريح نجد المنى الأمامي (Avant-corps)وهو معلم طقوسي ذات الشكل المستطيل ويتميز مسطبته الصلبة، لم يتبقى من هذا المعلم إلا جزء من مساحته المبلطة والتي عثر على أثر صباغ الأحمر في الأرضية[12]. إن هذا النوع المعالم الطقسية الملحقة، نجدها في العديد من المعالم الجنائزية (البازينات) كالتي نجدها بالجلفة أو المتواجدة بين بسكرة وبوسعادة. كما أن هذا المبنى يكتسي أهمية خاصة من حيث وظيفته، المتعلقة بتأدية الشعائر والطقوس الجنائزية[13]. (أنظر المخططين رقم:3-4)

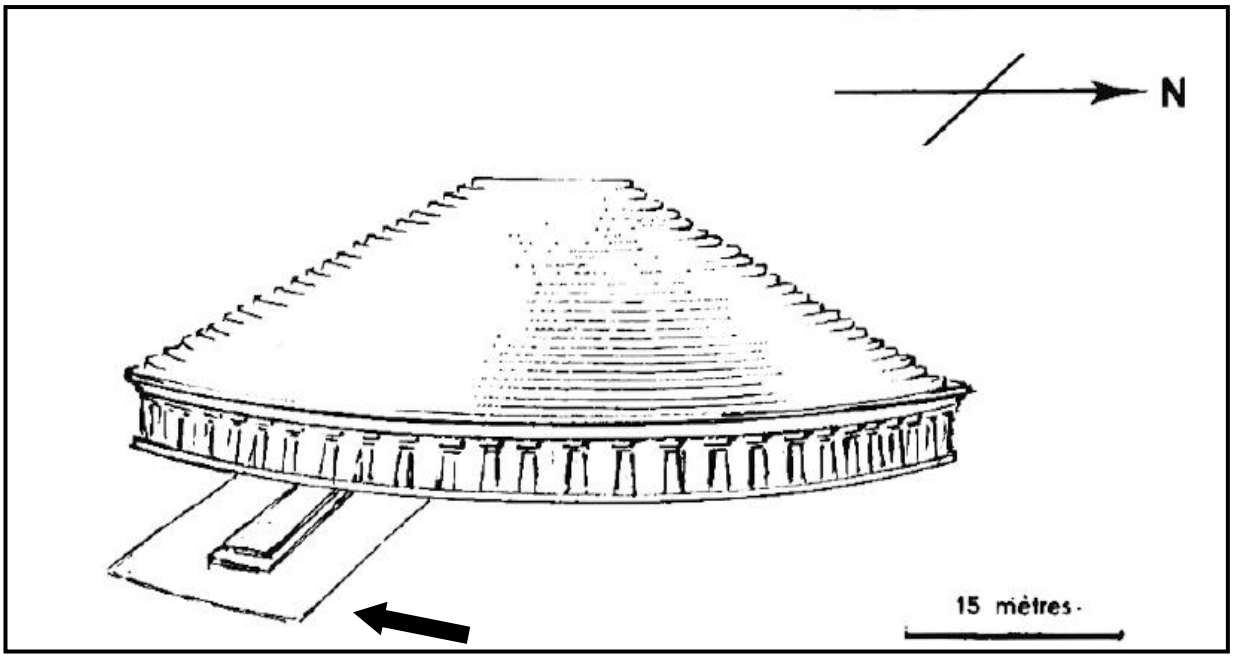

مخطط رقم3: المبنى الأمامي الطقوسي لضريح امدغاسن

Gamps(G),op.cit ,p.481

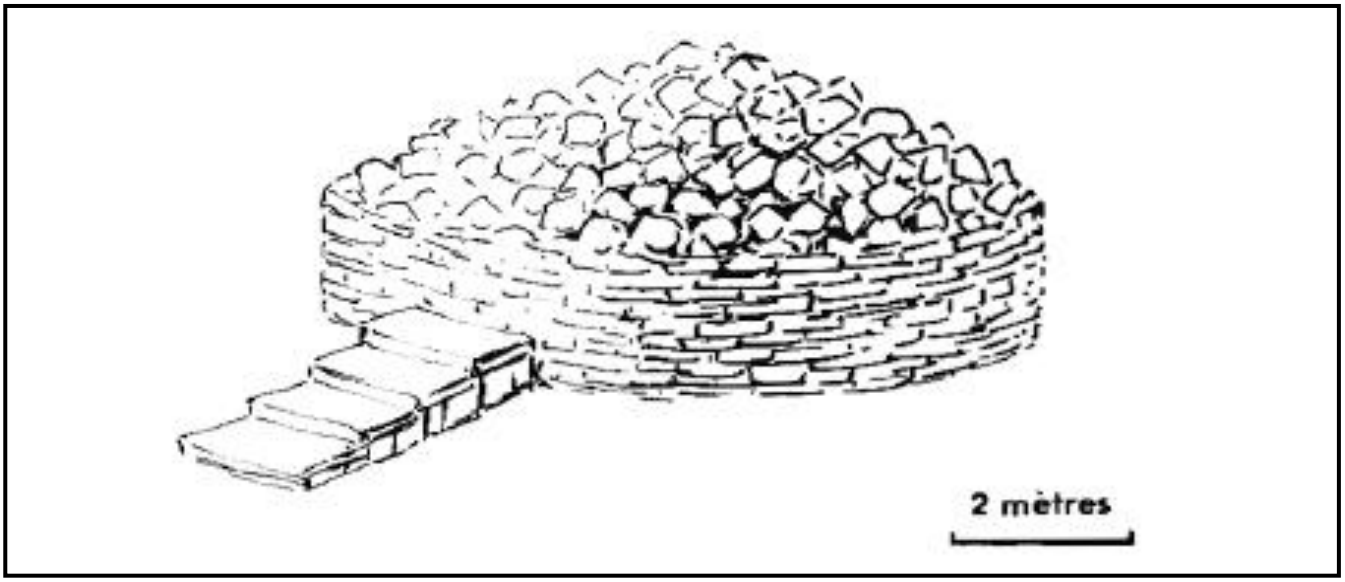

مخطط رقم4: بازينة ذات قاعدة أسطوانية (الجلفة)

Gamps(G),1973, p482.

مدخل لضريح من الجهة الشرقية، عند الدرجة الثالثة من القسم المخروطي المشكل للقسم العلوي منه. أثناء عملية استكشاف الضريح، عثر على بلاطة حجرية ارتفاعها 1.60م وعرضها 0.70م كانت بمثابة سدادة لمدخله[14]. عثر عليها من قبل النقيب Collineau عند اكتشافه لمدخل الضريح. وهذا النوع الآخر من طريقة الغلق معروف في القبور السردابية ذات تأثيرات شرقية [15].

نصل عن طريق هذا المدخل إلى الرواق الذي يؤدي للغرفة الجنائزية أو غرفة الدفن بعد السلم المكون من إحدى عشر درجة مكسوة بطلاء أحمر. بنيت جدران الرواق من الحجارة الصغيرة ودون ملاط، بينما الأرضية تمت تهيئتها عن طريق شظايا الحجارة المصقولة ثم طبقة ترابية ثم الملاط والذي أخذ اللون الأحمر بسبب الطلاء المستعمل في الأرضية[16]. أما بالنسبة لسقف الرواق، فقد لاحظ الباحث كامبس بأنها قد شكلت من جذوع شجر الأرز تزامنا، مع بناء الضريح بدليل أطرافها المدمجة في عمق جدران الرواق [17].

تقع الغرفة الجنائزية في قلب الضريح، مدخلها عبارة عن فتحة ذات الشكل المربع ارتفاعها 1.70م وعرضها 0.90م. أما أبعاد الغرفة فطولها 3.30م وعرضها 1.45م، بنيت جدرانها من الحجارة المصقولة. سقف الغرفة مشكل من بلاطات حجرية، على طرفيها نجد مصطبتين عرضها 0.20م وارتفاعها0.30م[18]. أما بالنسبة لتاريخ الضريح فقد اعتمد الباحث كامبس على عينات من خشب الأرز وذلك عن طريق الكربون 14 المشع بحيث أرخها بنهاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث قبل الميلاد [19].

غير بعيد عن ضريح مدغاسن، بمئات الأمتار في الجهة الجنوبية الغربية عثر على تل جنائزي ذات أبعاد كبيرة تتقارب مع الضريح. له رواق اتجاهه شرق–غرب يأخذ مباشرة، إلى الغرفة الجنائزية ورواق آخر دائري والذي يتقاطع مع هذا الأخير. والجدير بأن هذه التيئهات الجنائزية قد لوحظ استخدامها في الفترة المتأخرة (ضريح بلاد قيطون) المؤرخ بنهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس بعد الميلاد. بحيث نجد نفس المخطط. ومن الممكن أن يكون معاصرا لضريح مدغاسن مثله مثل باقي التلال الجنائزية المحيطة بالضريح [20].

2.ضريح بني رنان

يقع ضريح بني رنان فوق قمة جبل سكونة على الضفة اليمنى لنهر التافنة غير بعيد عن المدينة النوميدية سيقا، التي تقع على الضفة اليسرى من النهر. شيد فوق هضبة تكمبريت على ارتفاع 221م من مستوى سطح البحر [21].

1.2. تاريخ الأبحاث

قبل الحفريات التي قام بها G. Vuillemot، أشير إلى أحد التلال الجنائزية الذي بلغ قطره 18م وهو نفس الشيء الذي ذكر من قبل P. Pallary عن عدد من المعالم الجنائزية ذات أنماط مختلفة منها التلال الجنائزية، البازينات، الدوائر الحجرية تتمركز في ضواحي الضريح الملكي[22]. لقد سمحت الحفريات التي أجريت من قبل G. Vuillemot سنة 1960 بالكشف عن هذا الضريح وتم التعرف على الطبيعة المرفولوجية له. والذي

استعملت فيه الحجارة الكبيرة. أما فيما يتعلق بالملاط فقد استعملت مادة الجبس المتوفر في الجهة الجنوبية من الضريح حوالي 14كلم. (أنظر الصورة رقم 2)

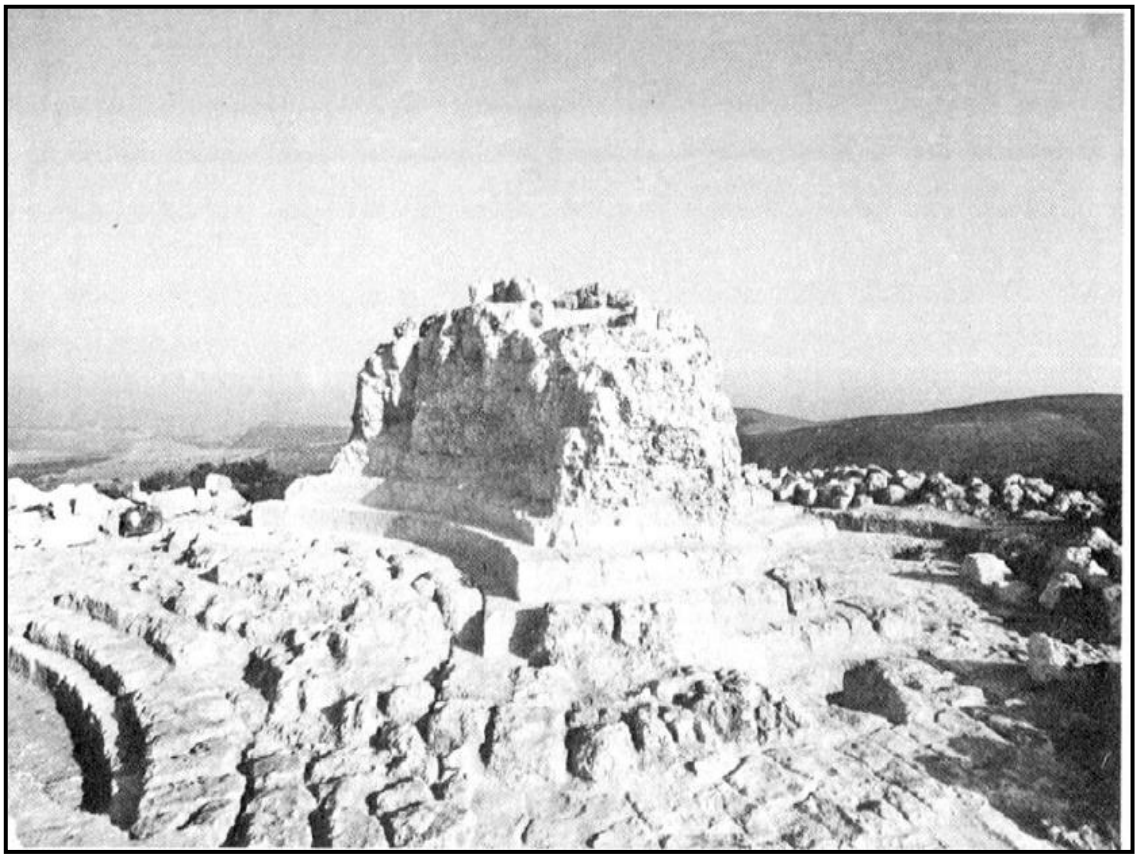

الصورة رقم2: ضريح بني رنان (القسم العلوي)
Rakob (F, 1983, p. 344.

2.2. الشكل والأبعاد

يتكون الضريح من قسمين أساسيين هما: القسم السفلي (تحت أرضي) الممثل في السرداب (hypogée)، ذات الشكل السداسي. والذي يتماشى مع قاعدة الضريح، يضم عشرة غرف جنائزية والقسم العلوي ذات الشكل البرجي يتطابق في مخططه مع ضريح صبراتة بليبيا وضريح بورقو(جربة) بتونس، ذات الشكل السداسي (hexagonal). وقد اكشف اثناء الحفريات، تاجين من الطراز الأيوني، تعود إلى أعمدة الضريح. هذا بالإضافة إلى أجزاء من الطنف ذات العنق المصري. وقد افترض الباحث Rakob وجود طنف ذات العنق المصري في الطابق الأوسط أين نجد الباب الوهمي تشبه تلك التي نجدها بضريح مدغاسن. الضريح الملكي الموريطاني وضريح صبراتة. وهو يتقارب من حيث أبعاده مقارنة مع كل من صبراتة وهنشير بورقو بين 9,70 m et 10 m من كل الجوانب بينما ضريح بني رنان 15م وهو يعد أكبرهم وقد يصل ارتفاعه إلى نحو 30 م. مما يجعل منه أكبر الأضرحة البرجية بشمال إفريقيا[23]. (أنظر المخطط رقم 5)

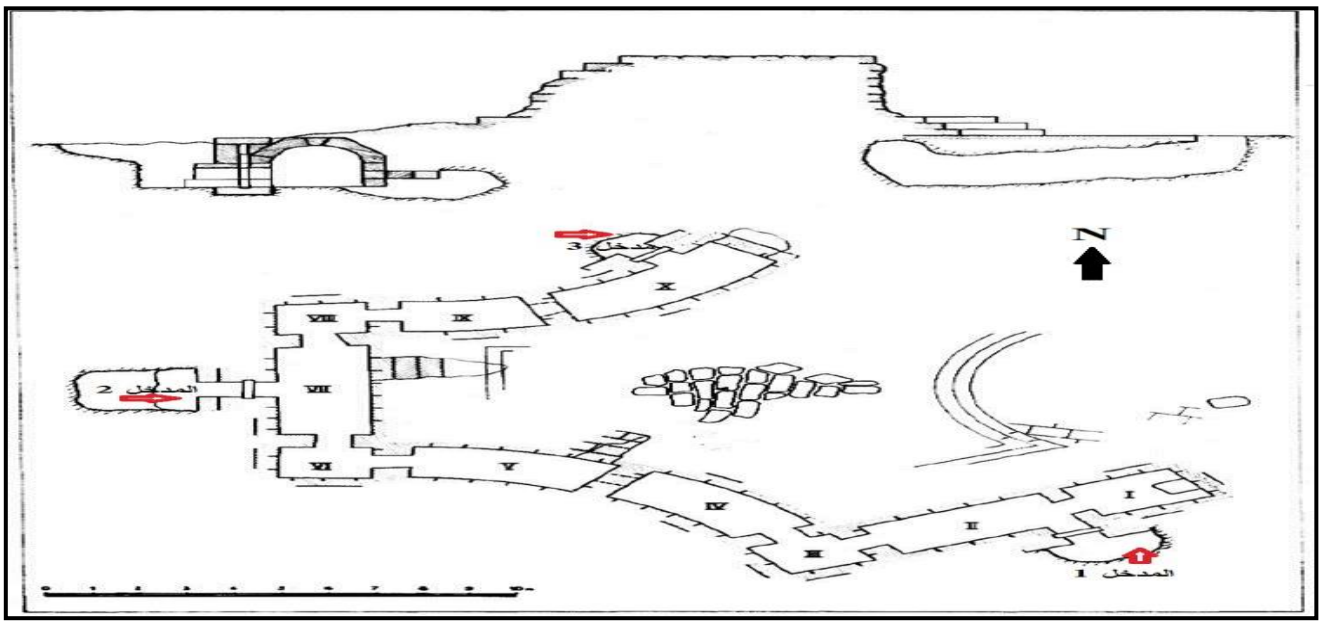

مخطط رقم 5: ضريح بني رنان (القسم السفلي)

Vuillemot(G), 1964.p.81.

لقد كشفت حفريات Vuillemot عن الطريقة، التي اعتمدت في بناء هذه الغرف تحت أرضية. فبعد حفر الرواق بنيت الجدران مسندة إلى جدران الرواق، بينها فراغ من 1,95م إلى 2م. سقفها مقبب وبها فتحات تربط الغرف ببعضها البعض[24]. قام الباحث Rakob بإعداد مجسمين ضريح بني رنان، القسم الخارجي، ذات الشكل البرجي والذي ينتهي بقمة هرمية والقسم السفلي الذي يمثل قاعدة الضريح والقسم السفلي منها أي تحت أرضي يضم عشرة غرف جنائزية. لها ثلاث مداخل. من الجهة الجنوبية، الغربية والجهة الشمالية الغربية. (أنظر الصورتان رقم 3- 4)

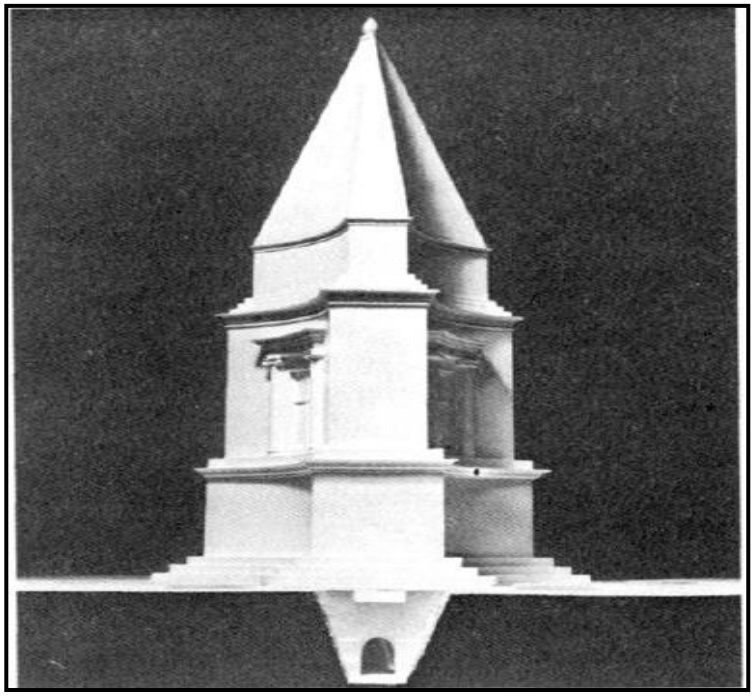

الصورة رقم3: مجسم لضريح بني رنان – القسم العلوي (إعادة تصور)

عن: Rakob (F),1976 ;p.354

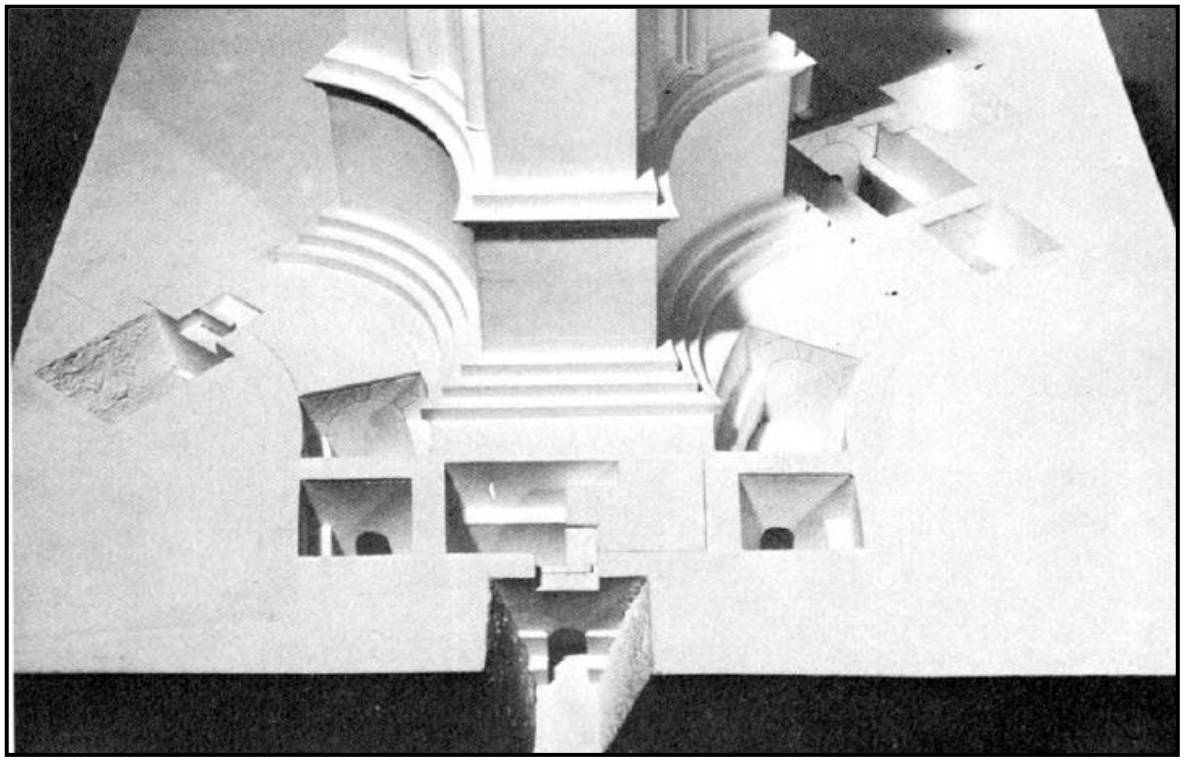

الصورة رقم4: مجسم لضريح بني رنان– القسم السفلي (إعادة تصور)

عن: Rakob (F),1976 ;p.354

من بين العناصر المعمارية، التي عثر عليها تاجين أيونيين وقد افترض الباحث Rakob وجود طنف ذات العنق المصري، في الطابق المركزي يحملهما نصفي عمودين والتي تأطر الباب الوهمي. (أنظر المخطط رقم 6)

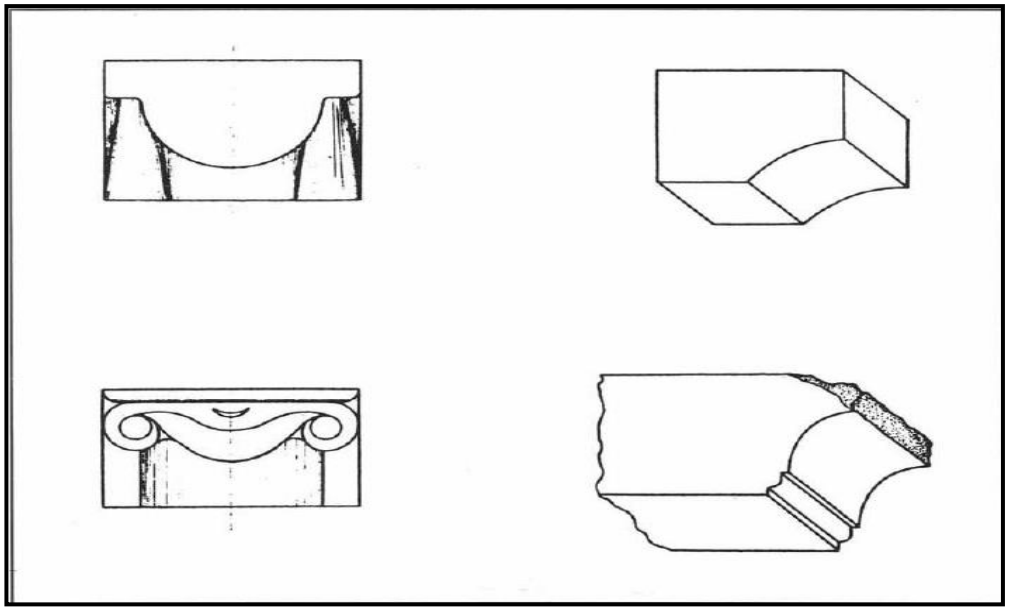

مخطط رقم:6 العناصر المعمارية المكتشفة

Rakob (F) 1976;p.354:

بالنسبة لتأريخ الضريح، فبحسب الأثاث الجنائزي الذي عثر عليه من بقايا فخار وبقايا مصباح زيتي فقد أرخ في الفترة التي سبقت القرن الثاني قبل الميلاد بقليل. أي مع نهاية حكم مكيبسا، حيث كانت تمتد مملكة نوميديا إلى غاية نهر ملوية الذي يفصلها عن مملكة المور[25].

3.2. أوجه التشابه والاختلاف

إن دراسة مقارنة، بين ضريح مدغاسن وضريح بني رنان من الجوانب المعمارية والفنية تبرز أوجه التشابه والاختلاف بين هذين الصرحين، المعماريين الجنائزيين واللذان يعدان نموذجا في تطور العمارة الجنائزية الملكية المحلية. والتي جمعت بشكل أو بآخر بين العمارة المحلية والتأثيرات الخارجية وهذا كان نتيجة الاحتكاك بالعالم الخارجي منه الإغريقي، البوني والمصري، التي تتمثل فيما يلي:

1.3.2. أوجه التشابه

استخدم التاج الدوري في ضريح مدغاسن والتاج الأيوني ذات الطابع القديم في ضريح بني رنان والذي يعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد يتسم بقناة مستديرة من الأسفل تربط بين الحلزونيتين في ضريح بني رنان وكلاهما تأثيرات معمارية إغريقية.

الأبواب الوهمية بضريح مدغاسن عددها ثلاثة. أما بضريح بني رنان فقد عثر أثناء الحفريات على أجزاء معمارية، تعود إلى الأبواب الوهمية. دون معرفة عددها.

شمل كلا الضريحين على الطنف ذات العنق المصري والذي يفصل بين القسم السفلي والعلوي للضريح. وقد لوحظ وجوده في العمارة البونية، منذ القرن السادس قبل الميلاد وأصوله مصرية.

2.3.2. أوجه الاختلاف

من الناحية الجغرافية ضريح مدغاسن يقع في الجهة الشرقية لمملكة نوميديا(الماسيل)، أما ضريح بني رنان يقع في الجهة الغربية من مملكة نوميديا(المازيسيل).

ضريح مدغاسن نشاء وتطور من العمارة الجنائزية المحلية والتي تعود إلى قبور فجر التاريخ المتمثلة في البازينا وهو يصنف ضمن الأضرحة الدائرية ذات الشكل الأسطواني.

ضريح بني رنان أو مايصطلح عليه ضريح سيقا يصنف ضمن الأضرحة البرجية ذات الأصول الهلنستية.

ضريح مدغاسن له مدخل واحد من الجهة الشرقية، في القسم العلوي من الضريح عند الدرجة الثالثة.

ضريح بني رنان له ثلاث مداخل من الجهة الشمالية الشرقية، الجهة الجنوبية الشرقية والجهة الجنوبية الغربية.

يضم ضريح مدغاسن غرفة جنائزية واحدة، بينما نجد بضريح بني رنان عشرة غرف متصلة ببعضها وتتبع في مخططها، الشكل السداسي لقاعدة الضريح وهي محفورة في الصخر الجيري، مدعمة بجدران.

-ارتفاع ضريح مدغاسن الإجمالي 18.50م، أما ضريح بني رنان حسب الباحثين منهم فريدرك راكوب فقد قدر با30م. وبالتالي فهو يعد أعلى الأضرحة من حيث الارتفاع.

من الناحية التاريخية فإن ضريح مدغاسن يؤرخ بنهاية القرن الثالث وبداية القرن الثاني للميلاد بينما ضريح بني رنان مؤرخ بالقرن الثاني قبل الميلاد.

خاتمة

عرفت العمارة الملكية النوميدية تطورا هاما في بنيتها المعمارية ببلاد المغرب القديم والتي تنوعت ملامحها المعمارية في الأضرحة الملكية النوميدية سواء في الشكل كضريح مدغاسن ذات الشكل الأسطواني المستوحى من العمارة الجنائزية المحلية والتي تعود إلى فترة فجر التاريخ المعروفة بالبازينا، المؤرخ بنهاية القرن الثالث للميلاد والضريح الملكي الموريطاني المؤرخ بالقرن الثاني **قبل الميلاد** واللذان يشتركان في خصائص معمارية عديدة بحكم النمط المنتميان إليه، من جهة اخرى الزخارف المعمارية التي زينت واجهت الضريح والتي تنوعت بين الطراز الإغريقي والمصري والبوني. بحكم التواصل مع حضارات الشعوب المتوسطية.

من جانب آخر نجد النمط الثاني في العمارة الملكية النوميدية وهو الأضرحة البرجية إذ يعد ضريح بني رنان صرحا معماريا جنائزيا ذات خصائص معمارية، تختلف عن سابقه من حيث الهيكل المعماري ذات التأثير الهلنستي. نجد هذا النوع من الأضرحة البرجية بكل من دوقة وبورقو بتونس، ضريح صبراتة بليبيا. لكن هذا الأخير يتطابق من حيث الشكل الخارجي مع ضريح بني رنان، الذي يأخذ في مخططه شكلا سداسيا، هذه الصروح المعمارية الجنائزية والتي تعد إرثا حضاريا هما، بحاجة الي تعميق الدراسات والأبحاث الأثرية من خلال مراجعة كل ما كتب ووثق عنها ومعانية البقايا الأثرية المكتشفة بها المحفوظة بالمتاحف. وهذا قصد إعطاء معلومات جديدة تفيد الباحثين في الميدان. هذا من جهة ومن جهة أخرى قصد الحفاظ على هذا المعالم يجب الحفاظ عليها وتثمينها من خلال تأهيلها وترميمها إن استلزم الأمر لذلك.

الهوامش:

1 Camps G),1994,: **les mausollées princiers de numidie**, , Dijon, p52.
2 Moliner-violle(M),le **Médracen**, 1893 RSAC ,TXXVIII, ,p52 .
3 Foy.(M), **1857 Notice archéologique sur le madrazen**, R.S.A.C., T XV p.65
Cahen(,A.b), **1871-1873 Le Médracen,Rapport de fouilles**, R.S.A.C, T XVI , , p 13 4
5 Brunon.(C), **1873 -1874 les fouilles exécutées au médracen.Mausolée des rois de numidie** RS.A.C..TXVI , ,p 310
6 Al Bakri, 1913**, Description de l'Afrique septentrionale**, Alger, p.107.
7 Becker (M.F.), **1854-1855« Essai sur le Madra'sen »**, RSAC, p.112
8 Gamps,(G) 1973,**Nouvelles observations sur l'architecture et l'age du Madracen, mausolée royale de Numidie**, C.R.A.I . p 510
9 Ibid,p.492
10 Bouchenaki.(M), 1979, **Tombeau royal de la Maurétanie**, Alger, , p7
11 Ibid,p.499
12 Gamps(G),op.cit ,p.481
13 Ibid,p.482.
14 Gsell(S.)., 1901, **les monuments antique de l'algérie** ,Volume 02,paris, p 66.

15 Ibid.p.66.
16 Brunon.(C), op. cit, ,p 345.
17 Gamps(G),op.cit ,p.498.
18 Ibid.p.499.
19 ibid.57.
20 Ibid,p.509.
21 Vuillemot(G) , 1964**, Fouilles du mausolée de Beni Rhenane en Oranie**,in C.R.A.I., Vol .108, ,pp. 71 – 95.
22 Ibid,p.74.
23 Rakob(F),. 1983**, Architecture royale numide**. In: M.E.F.R.A,. p. 340.
24 Vuillemot(G), op.cit.p.82.
25 Ibid.p.89.